



الفصل الأول، ربما

كَتَبَ الرَّاوي على لسان القصاص أنه في إحدى نواحي الاسكندرية، التي لا يرغب استذكار اسمها، كان يقع عنوان مجلّة يقف منشؤها الشاب في مكتبه في نهاية العام متأملًا نفسه في مرآة دائرية صغيرة معلقة على الحائط المقابل لطاولة مكتبه ومتناسيًا شواغله ومصاريف السنة القادمة ويداعب شاربيه فخرًا.

وباتجاه تلك الناحية وفي اللحظة عينها كان يركض فتى متوسط الطول أسود الشعر والعينين وأطراف الأصابع. سواد الشعر والعينين يعودان لطبيعته الجسدية أمّا الحبر على أطراف الأصابع فذلك لطبيعة عمله، والركض لطبيعة ثالثة طارئة كان مدفوعًا بها لإيصال دسته ورقٍ مغلقة بغلافٍ ورقيّ بُني اللون ومربوطٍ بخيطٍ من القماش. ووجهة الركض كانت إلى المكتب ذاته ليوصل الدسته نفسها إلى الرجل ذاته الواقف أمام الحائط المذكور الحامل للمرآة الدائرية لا غيرها.

صعد أبو وليد، الفتى الراكض، الدرج ولهائه يكاد ينفث نازًا. كل خطوة على الدرج لثقلها كادت تحطم الخشب الرخيص المصنوع منه، الدرج أفلت من المصير المشؤوم، أمّا الشاب المُكَنَّى بأبي وليد الذي لم يعهد نفسه ثقيلًا من قبل وجَدَ روز على باب غرفة المكتب تَهَمُّ بالدخول فبادرها سائلًا:

- "صباح الخير يا مادموزيل روز، هل فرح أفندي هنا؟"

- "نعم يا عزيزي تفضل وادخل."

- "آمل ألا يكون مشغولًا. لكنّ المعلّم يوسف أرسلني إلى هنا وقال لي أن أسرع وإلا غضب الأفندي."

- "يغضب؟ ولمّ عساه يغضب؟ أدخل وانظر إليه فقط، فهو إن كان سيغضب فهذا لن يحدث اليوم."

دخلا ووجدوا فرح لا يزال على وقفةٍ كانت مستمرة منذ أن رآته أخته عليها قبل ما يقارب النصف ساعة. دُهِل أبو وليد لما رآه من أناقة الرجل الواقف أمامه. لفت نظره ذاك الشارب الممشوقان طرفاه. لم يره ممسّدًا وممشطًا ومرفوعًا بهذا الشكل منذ أن دخل مبنى المجلّة للمرّة الأولى. وفَرَحَ نفسه، الذي كان يتضاءل في الأشهر الثلاثة الأخيرة ولا يبدو عليه إلا الصُّمُور المتزايد الذي لَحِظَهُ أبو وليد من صباح إلى صباح، بدا قويّ البنية وممشوقًا مع

أطراف شاربيه بكامل صحته.



التفتت روز مبتسمةً لحال أخيها ولحظت دهول الفتى المتعرق وقالت له ضاحكةً:

- "أؤكد لك بالله أمضى الصباح بأكمله أمام تلك المرأة الصغيرة يمسد شاربيه. أنظر إلى المقص على الطاولة هناك، قد أمضى نصف وقته يقص أطراف الشعيرات التي رفضت الانصياع إلى هذا التمسيد."

ضحك فرح على تعليق أخته وضحكت أخته على ضحكته في حين التفت أبو وليد إلى المقص أولاً، لم يكن يفهم، حاول استثارة ضحكة يشاطرهما بها ولم يفلح، عاد فنظر إلى شارب فرح وأمعن به ورجع بالمقص ثانيةً، أمضى نصف النهار أمام المرأة؟ لقد دفعه المعلم يوسف دفعًا خارج الباب وهو يصيح له أن يسرع ليجد أن القيامة لم تقم بعد؟ لا بل مازحه فرح:



- "هل ترغب بمثله يا صديقي؟ مع أنّ شاربك ولحيتك لا تحتاجان إليه بعد ولكن من يدري قد يلزمك مستقبلًا."
- "لا، لا، مع الشكر طبعًا.. ولكن يا فرح أفندي كنت أتساءل ما سرّ هذا الانقلاب الكبير في حالك؟"

توجّه فرح نحوه وأخذ الرزمة من يده وسار بها إلى مكتبه. فتح عقدة الخيط ببطء شديد كما لو أنّ فيها زجاجًا. وضع الخيط برفقٍ على الطاولة إلى جانبيّ هذا الطرد الملفوف به. بدأ يُبعد أوراق الغلاف عن بعضها ببطء. لعق أبو وليد شفتيه. وترك فرح أطراف الغلاف الورقية، فهبطت برفقٍ على الطاولة فوق الخيط.

إنّها مجموعة ورق سمكة وحسب، فكّر أبو وليد، لكنّه كان يعلم ذلك فقد أخبره المعلم يوسف بشأنها مباشرة قبل دفعه خارج الباب. رفع فرح مجموعة الأوراق السمكية عن مكتبه بكلتا يديه ونظر إلى محدّثه مبتسمًا وقال:

- "هذه هدية رأس السنة إلى قرّائنا، إنّها أول نسخة تخرج كاملة من تحت المطبعة، لقد أوصلتها بنفسي إلى مُرَبّي الحروف ليجهزوها وطلبت منهم إرسالها إليّ فور طباعتها. ما زالت غير مخيطة بعد لكنني أردت رؤيتها لحظة انتهائها. بقية النسخ سيبدأون بخياطتها في كراريس، أمّا هذه فسأحتفظ بها مجلّدة بغلافٍ جلديّ سميكٍ لنفسي هنا في المجلّة."

- "ولكن يا أفندي ما هذا؟ ولماذا لم ترسلها معي إلى المطبعة وأخذتها بنفسك؟ ومتى حدث ذلك أصلًا؟"

وضع فرح الرزمة التي بيده على الطاولة وتناول الصفحة الأولى التي هي صفحة الغلاف. مدّ يده باتجاه الفتى المتلهّف فاقترب الأخير وتناول الورقة من يد فرح بحذر، أدارها باتجاهه وأخذ يقرأ ما عليها متمنّمًا بصوت شبه مسموع...

هذه هي إذن نهاية قصة مقالٍ كان هدفه المبدئيّ أن يملأ بابًا في مجلّةٍ في منتصف عام ألفٍ وتسعمئة واثنان. لكنّ المقال مرّ بما لا يمر به أشباهه فكّبر وأصبح كتابًا في نهاية العام. تداول رجالٌ هذا المقال وتناولوه لكنّهم كلّهم كانوا جزءًا من قصته وهو ينمو وليس هو جزءًا من قصتهم. كاتبه لم يكن فارسًا متوشحًا سيفه ولا زعيمًا سياسيًا أو عسكريًا مؤثرًا في المصائر، ولم يعيش أيّ مغامراتٍ أثناء تأليفه، بل على العكس كان رجلًا شابًا، في الثامنة والعشرين من



العمر، ضعيف البنية يجلس خلف طاولته فقط، ولأشهرٍ مارس فعِلين بالكاد أضاف فعلاً ثالثاً لهما؛ القراءة والكتابة.

كاد فرح أنطون أن يموت جوعاً وتعَباً لكثرة ما أسرف جهده في جلسته تلك على طاولته تيك وكرسيه ذاك مقابل ذلك الحائط الذي عليه تلك المرأة. وهكذا باختصار انتهت قصة كتابٍ كُتِب، أَجْهَدَ كَاتِبُهُ نفسه إلى حدِّ الإعياء لولا تدخّل أخته المستمر.

الكاتب: **عمر زكريا**